اللغة العربيَّة والمسلمون عوامل انتشارها ورسوخها – آثارها

الدكتور: حسين محمد حسين البطاينة

كلية إربد الجامعية

جامعة البلقاء التطبيقية– الأردن

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربيٍّ مبين، وجعله قبلةً للعُرْب والعجم من المسلمين، يتدبرون آياته وينهلون من منهله المعين، وحفظه بحفظه إلى يوم الدين، فقال جلَّ في عُلاه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾الحجر9، فكان حفظه لكتابه حفظا لحدوده وحروفه، فتبارك الله أحسن الخالقين، وبعد:

فقد كانت علوم اللغة العربية من أبرز ميادين البحث عند الشعوب المسلمة من غير العرب كأداة لتعلم علوم الشريعة الإسلامية التي اعتنقوها بعد الفتوحات الإسلامية لبلادهم ونتيجة ما عايشه تجار الشرق الأقصى من أخلاق التجار المسلمين من العرب، فكانت أحد عوامل انتشار الإسلام ولغته العربية في بلادهم، قال بروكلمان[1]: "بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتساع مدىً لا تكاد تعرفه أي لغة من لغات الدنيا، المسلمون جميعا يؤمنون بأنَّ العربية هي وحدها اللسان الذي أُحِلَّ لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمانٍ طويلٍ مكانةً رفيعةً فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى".

ولذلك كان هناك الكثير من العوامل التي رسخت اللغة العربية في حضارات هذه الشعوب كما أن هناك الكثير من الآثار التي تركتها اللغة العربية في لغات وحضارات المسلمين من غير العرب.

المبحث الأول: عوامل انتشار ورسوخ اللغة العربيَّة عند المسلمين من غير العرب.

أثرت عدة عوامل في انتشار وترسيخ اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب، ومعظم هذه العوامل يعود إلى دوافع دينية نتيجة اعتناق هذه الشعوب لعقيدة كانت لغتها اللغة العربية، يقول ابن خلدون معلِّلاً انتشار اللغة العربية[2]: "كما هجر الدين اللغاتِ الأعجميَّة،

وكان لهُ لسانُ القائمينَ بالدَّولةِ الإسلاميَّةِ عربيَّاً هُجِرَتْ كُلُّها في جميع ممالكها، فصار استعمالُ العربي من شعائر الإسلامِ وطاعةِ العرب وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميعِ الأمصار والممالكِ، وصار اللسانُ العربي لسانهم حتَّى رسخ ذلكَ لغةً في جميع أمصارهم، وصارت الألسنة الأعجميَّة دخيلةً فيها وغريبةً".

إلَّا أنَّ اللغة العربية من منظورٍ دينيٍّ تختلف عن اللغة اللاتينية كما يرى أنور الجندي[3]: "واللغة العربية بذلك ليست دينية بالمعنى الذي تعتبر به اللاتينية لغة دينية، ولكن بمعنى يختلف عن ذلك كثيراً، ذلك أنَّ العربية هي الرباط الذي يربط العرب كافَّة والمسلمين كأصحاب فكر واحد، ولقد تأكَّد أنَّ العلم بالعربية عند المسلمين كالعلم بالسُّنن عند أهل الفقه".

وذهبَ أبو منصور الثعالبي إلى أنَّ المعرفة باللغة العربية من الدين فقال[4]: "إنَّ مَنْ أحبَّ الله أحبَّ رسولَهُ محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم، ومَنْ أحبَّ الرسولَ العربيَّ أحبَّ العربَ، ومَنْ أحبَّ العربَ أحبَّ العربية التي بها نزل أفضلُ الكتبِ على أفضل العجم والعرب، ومَنْ أحبَّ العربية عُنيَ بها، وثابر عليها، وصرَفَ هِمَّتَهُ إليها، ومَنْ هداه اللهُ للإسلامِ، وشرحَ صدرهُ للإيمان، وآتاهُ حُسْنَ سريرةٍ فيه اعتقد أنَّ محمداً صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خيرُ الرُّسُلِ، والإسلامَ خيرُ الملِ، والعربَ خيرُ الأمم، والعربيَّةَ خيرُ اللغاتِ والألسنة، والإقبالُ على تفهُّمها من الدِّيانة؛ إذْ هيَ أداةُ العلمِ ومفتاحُ التَّفقُّهِ في الدينِ وسببُ إصلاح المعاشِ والمعادِ، ثمَّ هيَ لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءةِ وسائر أنواعِ المناقب كالينبوعِ للماء والزند للنار".

ويرى الجنديُّ أَنَّ العامل الديني كان أقوى العوامل في نشر وترسيخ اللغة العربية عند غير العرب من المسلمين يقول[5]: "ومع وجود هذه اللغات – يقصد لغات غير العرب من المسلمين– فقد كانت اللغة العربية هي لغة المعاملات الدينية ولغة العلم والشريعة، وقد اشتراك أبناء هذه الأمم جميعا في الكتابة بها حتى فاق بعضهم كُتَّابَ العرب وعلماءَهم، ويرجع ذلك إلى:

1– حقيقة التَّلازم بين انتشار الإسلام وانتشار اللغة العربية.

2– نزول القرآن باللغة العربية.

3– الحقيقة القائمة في نفس كلِّ مسلمٍ وعقلِهِ عربيَّاً كان أو غيرَ عربيٍّ أَنَّ القرآن كلام الله وأنَّ على المسلم أن يتعلم لغة القرآن ليفهمهُ".

وقد ذكر عبد الرحمن أحمد البوريني[6] عدة أسباب لاحتكاك الشعوب الذي يؤدِّي إلى تأثير لغة على أخرى، يقول: "يؤثِّرُ احتكاكُ الشعوب وتعايشها معاً على اللغات التي تتكلَّمها، فتتسرَّبُ الكلماتُ من لغة إلى أخرى، ويتناسبُ حجم ما يتسرَّبُ من لغةٍ إلى لغةٍ غيرها من اللغات تناسباً طرديًّا مع تأثير الشعبِ الذي يتكلَّمُ تلكَ اللغة على غيرهِ من الشعوب التي تتعايش معه، الحروبُ والغزوات التي تنتهي دائما بانتصار طرفٍ على طرفٍ وخضوعِ المهزومِ للمنتصر هي من أكبر الأسباب لاحتكاك اللغات وامتزاجها ونشوءِ لغات جديدة تكون خليطا من لغات الأقوام التي تعيش معاً إثر اكتساح الجيوش لحدود دولٍ أخرى، وتتعدد أسباب احتكاك الشعوب التي تؤدِّي بدورها إلى احتكاك اللغات وتسريب الكلمات فيما بينها، فبالإضافة إلى الاكتساح والاحتلال بالحرب هناك الهجرة والتجارة والترجمة وانتشار الدين".

فالأسباب السابقة أدت إلى الاحتكاك الذي يولد تأثير اللغة العربية على لغات المسلمين من غير العرب إلى أن تأثير اللغة العربية في لغاتهم كان أكبر من تأثير لغاتهم في اللغة العربية نتيجة القداسة التي اكتسبتها لغة الدين الإسلامي وصارت لغة الإسلام.

ويبقى العامل الديني أبرز هذه العوامل، يقول البوريني[7]: "ولانتشار الدين تأثيرٌ في احتكاك اللغات لا يستهان به، فلغات الشعوب المسلمة في جنوب شرق آسيا تحتوي على كلمات عربيَّةٍ تسرَّبت إليها لحاجة أولئك المسلمين الدِّينيَّة لها، ولم يكن انتشار الإسلام في تلك المنطقة بسبب الحروب".

ومن المعلوم أنَّ اللغة بشكلٍ عامٍّ تقومُ بمجموعة من الوظائف الإنسانيَّة، وهذه الوظائف تؤثر تأثيرا كبيرا في انتشار لغة ما بين من يستخدمها، وكلَّما ازداد مستخدمو هذه اللغة كلَّما ازدادت اللغة انتشارا ورسوخا، فمن هذه الوظائف التي ساهمت في انتشار ورسوخ اللغة العربية عند غير المسلمين الوظيفة من خلال الطقوس الدينية والأوردة والأدعية، يقول نايف خرما[8]: "ففي هذه الحالة تكون وظيفة اللغة الأساسية هي إقامة أو متابعة الاتصال بالخالق، كما تكون لها وظيفة فرعية هي تمتين أوامر الصلة بين أبناء ذلك المجتمع الذي يدين بدين معيَّنٍ".

ولعلَّ موسم الحج السنويِّ المتواتر خير شاهد على أثر الطقوس الدينيَّة في ترسيخ اللغة العربية عند غير العرب من المسلمين، ففيه يجتمع ملايين المسلمين سنويا لأداء فريضة

الحج من جميع شعوب العالم ناطقين بلغة القرآن الكريم مؤدِّين بها جميع مناسكه وأدعيته وأوراده.

ومن العوامل التي ساهمت في ترسيخ اللغة العربية أيضا المناسبات الرسمية والمعاملات اليومية كالمحاكمات والبيع والشِّراء والزواج والطلاق وغيرها من المعاملات اليومية ولا سيَّما التي تستخدم اللغة العربية، فعامل التجارة بين العرب وشرقي آسيا كان من أبرز العوامل في دخول شعوب هذه المناطق الإسلام وترسيخ اللغة العربية عندهم، يقول البوريني[9]: "ودور التبادل التجاري فيما بين الأمم دورٌ مشهودٌ في انتقال الكلمات بين اللغات، فقد شهدت منطقة الجزيرة والهلال الخصيب قديما اختلاطاً في كثيرٍ من الكلام بسبب كون المنطقة حلقة وصلٍ للتجارة بين الشرق والغرب، فقد دخل العربية كلماتٌ من الفارسيَّة واليونانيَّة والسريانية، لكنها تظل كلمات تعني مصنوعات أو أدوات مستحدثةٍ أو أنواعاً من المأكولات والمشروبات".

إلا أنَّ أثر اللغة العربية في هذه اللغات كان أكبر بكثير مما دخل العربية من لغات هذه الشعوب.

ومن العوامل أيضا القرارات والأوامر الصادرة عن الوالي أو الحاكم أو القائد لإدارة البلاد وتلبية شؤون الرعية والسيطرة على أمورها وقيادة جيوش الفتوحات، فجميعها صادرة باللغة العربية وخاصَّة بعد تعريب الدواوين في عهد الأمويين، يقول نايف خرما[10]: "وللغة وظيفة أخرى نحاول عن طريقها السيطرة على محيطنا بشكل دائم ومنظَّمٍ هي إصدارُ الأوامرِ والتَّحكُّمُ في تصرُّفات الآخرين أو السيطرة على أشياءَ أخرى في البيئة المحيطة بنا".

فقد استطاعت اللغة العربية بوصفها لغة القرآن والثقافة والعلم والفكر البيان أن تستقطبَ عدداً كبيراً من أعلام المسلمين من غير العرب، فعملوا في محيطها وكتبوا آثارها بها، فكانوا من أبرز أعلامها كسيبويه والفارابي والفيروز ابادي والزمخشري الذي قال[11]: "اللهَ أحمدَ على أنْ جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب والعصبية لهم، وأبى ليَ أنْ أنفردَ عن صميمِ أنصارهم وأمتازَ، وأنضويَ إلى لفيف الشعوبيَّةِ وأنحازَ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يَجُدْ عليهم إلا الرَّشقَ بألسنة اللاعنين والمشقَ بأسنَّة الطاعنين".

ولعلَّ حيوية اللغة العربية واتِّساعها وقدرتها على الاشتقاق والتعبير الدقيق جعلها رائدة في حفظ تاريخ الأمم والشعوب سواء المسلمة وغيرها، إلا أنَّ المسلمين من غير العرب اتجهوا إلى تدوين حضاراتهم وتاريخهم وتراثهم وإبداعاتهم مستخدمين اللغة العربية كحال العرب أنفسهم، يقول عمر فرُّوخ[12]: "لا نعرف لغةً كانت قبل العربية أو معها ثمَّ استمرَّت مثلها مقروءَةً مكتوبةً كما كانت قبل ألف وخمسمائة عام أو أكثر".

فحفظ الحضارة والتاريخ والتراث والإبداع كان من أهم عوامل رسوخ اللغة العربية عند المسلمين من غير العرب كونها محفوظةً بحفظ القرآن قادرةً على حفظ ما يُكتَبُ بها، يقول نايف خرما[13]: "وللغة المكتوبة وظيفةٌ في غاية الأهميَّةِ، فعلى الرغم من أنَّ من الممكن أن يقومَ مجتمعٌ معيَّنٌ بحفظِ دينه وتراثه وأساطيره وأدبه وعاداته بالطريقة الشفويَّة أي عن طريق نقل ذلك التراث شفويًّا من جيل إلى جيل لاحقٍ فإنَّ ذلكَ التراث معرَّضٌ للضَّياع أو التحريف والتغيير لأسباب تتعلق بالحفظ والذاكرة كما تتعلق بالنفس البشرية، ولكن نفس هذا المجتمع إذا تطوَّرَ فأصبحَ مجتمعاً معقداً، وزاد تراثهُ زيادةً هائلةً بحيث لم يعد بالإمكان الاعتماد على الأفراد وذاكرتهم فإنَّ الوسيلة الوحيدة لحفظ ذلك كلِّه هو تسجيله كتابةً، والواقع أنَّ الأمة التي لم تستعمل الكتابة قط فقدت معظم تاريخها وتراثها".

لذلك كانت اللغة العربية أداة طيِّعةً لتدوين التاريخ والتراث والإبداع وحفظها، فبعد انتشار الإسلام وتشكُّل الدولة الإسلامية المترامية الأطراف كان لابدَّ من الانتقال من طور الرواية إلى طور التدوين، فكان المسلمون من غير العرب جزءاً من عملية التدوين، فقد كان بعضهم يتولى مهام الدواوين والرسائل ناهيك عن عمليات التأريخ والتوثيق لحضاراتهم وتاريخهم وآدابهم وإبداعاتهم.

المبحث الثَّاني: أثر اللغة العربية في لغات وحضارات المسلمين من غير العرب.

أثرت اللغة العربية في الحضارات المجاورة لها قبل مجيْء الإسلام، وازداد هذا التأثير بشكل كبير بعد مجيْء الإسلام وانتشاره في بلاد وبين شعوب هذه الحضارات، فلا ينكر تأثير اللغة العربية على الحضارات الفارسية والهندية والتركية والأوروبية وغيرها من حضارات بلغتْها الفتوحات الإسلامية، يقول الجندي[14]: "ولقد أمدَّتْ العربيَّة المستنيرين في أواسط آسيا بثقافةٍ تعتبر جديدة من جميع الوجوه، وبثَّتْ في قلوب هؤلاء أفكاراً طريفةً، وفتحت أمام عيونهم عوالمَ جديدة، كما أمدَّت العربيةُ الفرسَ والأتراك والهنودَ بلغةٍ جديدةٍ، كذلك أمدَّتْ

العربيَّةُ بلاد فارس بخزائنَ من العلم إلى جانب لغةٍ مكتوبةٍ منظَّمةٍ، أو قُلْ أمدَّتْ الفرس ببعثٍ جديدٍ مع ثقافةٍ جديدة، فَعَلَتْ هذا بينما الإغريق وقد حكموا الفرس قرنين لم يتركوا أيَّ أثرٍ أدبيٍّ، كما أنَّهم لم يتركوا شيئا في الهند، ولم يترك الفارسيُّ في مصر أيَّ أثر".

فهو يرى أن أثر اللغة العربية في الحضارات التي عاصرت الإسلام والفتوحات الإسلامية قد تجاوز مرحلة التأثير إلى مرحلة أوسع وأغزر هي مرحلة الإمداد، فالعربية قد أمدَّت تلك الحضارات بمدد لغوي أدبي ثقافي حضاريٍّ غزير تجلى في جوانب عدة، ويرى أحمد مختار عمر[15] أن تأثير العرب قد امتدَّ إلى شعوبٍ كانت أسبقَ منهم في الدرس اللغوي مثل الهنود والسُّريان والمصريين.

فمن جوانب تأثير اللغة العربية في الحضارات الأخرى:

-الحرف العربي:

فقد ظهر أثر اللغة العربية جليًّا في لغات الشعوب الإسلامية، فقد أمدَّت اللغة العربية هذه الشعوب بأبجديَّة كتابية بزَّت معاصراتها من الأبجديات، يقول الجندي[16]: "ظهر أثر اللغة العربية واضحا في اللغات الشرقية من ناحية الحرف العربي باعتباره أداةً لكتابة لغات الشعوب الإسلاميَّة، فأصبحت اللغة الفارسيَّة والتركيَّةُ والأورديَّةُ والجاونيَّة (لغة أندونيسيا والملايو) وغيرُها تكتبُ بالحروف العربيَّة، كذلك أصهرت إلى اللغات الأفريقيَّة السواحليَّة والهوسا، ومع وجود هذه اللغات فقد كانت اللغة العربيَّة هي لغة المعاملات الدِّينيَّةِ ولغة العلم والشَّريعة، وقد اشترك أبناء هذه الأمم جميعا في الكتابةِ بها حتَّى فاق بعضهم كُتَّابَ العربِ وعلماءَهم".

وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الإسلاميَّة، وكُتِبَتْ بها اللغات التُّركيَّة والفارسيَّة والأورديَّة والأفغانيَّة والكرديَّة والتَّتريَّة والمغوليَّة والبربريَّة والزنجيَّة والسَّاحليَّة، كما كُتبت بها لغة أهل الملايو، فقد حدثَ هذا منذ ألف سنةٍ، ودُوِّنتْ بها آدابُها وعلومُها وفنونُها، فقد استعمل الفرس الحروف العربية لكتابة لغتهم الفهلوية، كذلك استعملها الأفغان لكتابة لغتهم البامريَّة، وكذلك المسلمون الهنود في كتابة اللغة الأورديَّة، وسكان أرخبيل الملايو والصينيُّون في كتابة لغاتهم الخاصة، والأمم التَّتريَّة والتركيَّة في كتابة لغاتهم الخاصة في المناطق الكائنة بين سيحون وجيحون الممتدة طوال بحر قزوين شمالي البحر الأسود وجنوبي الأورال وجنوبي روسيا[17].

ولا تزال اللغة الفارسية تُكتبُ بالحرف العربي إلى الآن، أمَّا الأتراك فقد استبدلوا بها الحروف اللاتينية على يد مصطفى كمال أتاتورك[18].

وفي أفريقيا لايزال الحرف العربي مستخدماً في الكتابة حتى وقتنا الحاضر، يقول الجندي[19]: "وماتزال اللغة العربية شائعةً في السودان الفرنسي وفي شاطئ العاج وفي النيجر يعتمدون على الحروف العربيَّة، وفي نيجيريا تكتبُ اللغات الوطنيَّة بحروف عربيَّةٍ، وكذلك اللغات الأربع التي يتكلَّمُ بها أهل موريتانيا، وأكثرُها استيعاباً للكلمات العربيَّة اللغةُ الحسانيَّة".

– المصطلحات والاصطلاحات:

أدت علوم الحضارة الإسلامية العربية إلى استنباط مصطلحات جديدة صارت ضرورة في المعاملات الفقهية والدينية اللغوية وغيرها، يقول محمد كردعلي[20]: "هذا اللسان على سعته وسلاسته لم يقف ولم يجمد، فنقل ألفاظا من الفارسيَّة والعبرانيَّة والحبشيَّة والقبطية والهنديَّة، وترك ألفاظا عربيَّةً كانت مألوفةً في الجاهليَّةِ، واصطلح على كلمات عربيَّة كانت تؤدِّي معاني أخرى قبل الإسلام".

فهذه المصطلحات الجديدة التي أوجدتها علوم العربية والشريعة أغنت اللغة العربية أولا ولغات وحضارات الشعوب الإسلامية ثانياً، يقول الجندي[21]: "قدَّمت اللغة العربية في ظل الإسلام مئات المصطلحات والاصطلاحات في مختلف الميادين:

1– الاصطلاحات الدينيَّة والشرعيَّة.

2– الاصطلاحات الفقهيَّة (كالإيلاء والظِّهار والعدَّة والحضلة) إلخ.

3– الاصطلاحات اللغويَّة التي اقتضتها علوم النحو والعروض والشعر والأدب والإدغام وغيرها من أسماء البحور.

4– المصطلحات النحويَّة.

5– مصطلحات الحضارة العلم والفلسفة والطب والكيمياء والطبيعة والرياضة والفلك والجبر والمقابلة.

ولا توجد لغة من اللغات الشرقية تعتمد على موادها وحدها دون الالتجاء إلى العربية، ولا تجد سطراً من سطور اللغة التركيَّة إلا وهو مزدحم بالكلمات العربية وكذلك بالنسبة للغتين الفارسية والأورديَّة، حتَّى قيل: إنَّ نصف ألفاظ اللغة الفارسيَّة عربي، وثلاثة أرباع الكلمات في اللغة الأورديَّة عربي أيضا[22].

ويقول[23]: "ولم يقف عطاء اللغة العربية عند حد الحروف الهجائية ومئات الألوف من الألفاظ والمعاني، بل وألوف الجمل التامَّة، فقد أعطت مصطلحاتِ اللغة والبيان والبديع والعروض وأكثر مصطلحات الفلسفة والعلوم، كما أعطت اللغات الأوربيَّة الأرقام العربية وكثيراً من أسماء المعاني العلميَّة".

ولم يقف هذا التأثير على شعب مسلم دون آخر، بل شمل جميع الشعوب المسلمة، يقول عبد الباقي خليفة نقلا عن الأكاديمي البوسني الدكتور أنس كاريتش[24]: "تقبلت معظم شعوب البلقان الإسلام دينا لها ومنهج حياة، ومع انتشار الإسلام انتشرت المبادئ والمفاهيم الإسلامية وانتشرت الكلمات والتأثيرات الثقافية العربية ورافق التحول في الحياة الروحية تحولات عميقة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فالسلع التجارية والمعدات الحربية والكتب والأثاث والأدوات المنزلية والملابس والمأكولات المتنوعة والأدوية وغيرها وصلت إلى منطقة البلقان من الشرق العربي والتركي الإسلامي وعلى الأصح من الشرق الإسلامي، ومعظم تلك الأشياء كان يحمل أسماء عربية، ولهذا نجد في اللغات البوسنية والصربية والكرواتية وغيرها من لغات البلقان آلاف الكلمات والمصطلحات العربية في مجالات العلم والدين والأدب والسكن والملبس ومستحضرات التجميل والطب والطهي وغيرها من جوانب الحياة".

– المعاجم:

كان العرب من السَّبَّاقين إلى علم المعاجم وصناعتها، وقد تأثرت الشعوب التي اعتنقت الإسلام وغيرها بالعمل المعجمي العربي، وقد تمثل التأثير العربي في حضارات غير العرب من المسلمين بجانبين هما الترجمة والمحاكاة، فقد ترجم لغويو الترك عدَّة معاجم إلى اللغة التركية كالصحاح الذي ترجمه قرة بيري وسمَّا الترجمان[25]، ومثلهم لغويو الفرس، فقد ترجموا عدة معاجم إلى الفارسية كالصراح من الصحاح، وهو ترجمة لصحاح الجوهري ترجمه أبو الفضل محمد بن خالد القرشي مع إبقاء الآيات والأحاديث والشعر والأمثال باللغة العربية[26]، أمَّا المحاكاة فقد تمثلت بتأليف معاجم تحاكي المعاجم العربية من حيث الترتيب والأسلوب كديوان لغات الترك لمحمود بن الحسين بن محمد الكاشغري، من أهل كاشغر على حدود الصين، وهو معجم يشرح الألفاظ التركية بعبارات عربية، وهو محاكاة لديوان الأدب للفارابي[27]، ومنها قاموس الأروام في نظام الكلام لشيخ الإسلام مُلَّا صالح أفندي[28]، وقد سار فيه على نظام الصحاح للجوهري، وجمع فيه الألفاظ التركية، وفسَّرها بالعربيَّة.

وكانت المحاكاة حاضرة عند الفرس أيضا، فقد أَلَّفَ هندوشاه بن سنجر الكيزاني صحاح العجم على ترتيب صحاح الجوهري، وقال:" سمَّيتُهُ بذا الاسم لكونهِ على أسلوب صحاح العربيَّة"[29].

ولم يقتصر أثر العمل المعجمي العربي على حضارات بعينها، فقد تأثر مسلمو البلقان بالعمل المعجمي العربي، ويعد قاموس عبد الله شكايليتش من أهم قواميسهم التي تتحدث عن الكلمات العربية في اللغة البوسنية[30]، يقول عبد الله شكايليتش[31]: "يمكن القول بارتياح تامٍّ أنَّ اللغات البوسنيَّة والكرواتيَّة والصربيَّة تحتوي على آلاف الكلمات العربيَّة، وهذا بحدِّ ذاتهِ دلالة كافية على أثر التأثير الكبير للغة العربيَّة في البلقان".

– العَروض وموسيقا الشِّعر:

لقد أثرت اللغة العربية في لغات الشعوب المسلمة في آدابها عامَّة وشعرها خاصة، فقد استمد الفرس من اللغة العربية موسيقاها الشعرية وموضوعاتها، يقول أحمد مختار عمر[32]: "يقول الدكتور علي الشابي: نشأ الشعر الفارسي متأثِّراً بالشعر العربي شكلا وموضوعا، ويقول عن "منو جهرى" الشاعر الفارسي الغنائي: كان للقصيدة العربية بمفهومها الفني أثر واضحٌ في نشأة القصيدة الفارسية ...، ويقول بعد أن عرض نماذجَ من لشعره: إنها تعتبر أُنموذجا حيَّاً للقصيدة الفارسيَّة من حيثُ تأثُّرها بالقصيدة العربيَّة شكلاً وموضوعاً".

ويقول الجندي[33]: "فقد استعمل شعراء الفرس الأوزان العربيَّة والقوافي، ولكن تصرَّفوا فيها بعض التَّصرُّفِ، كما أخذ الأدب الفارسي موضوعات الأدب العربي كذلك، فهو يستمد من الإسلام وتاريخه ومن تاريخ العرب، وبزيد موضوعات مستمدة من تاريخ الفرس".

ولم يقتصر تأثير موسيقا وموضوعات الشعر على الفرس وحدهم، فقد تأثَّر بهم كلٌّ من احتكَّ بهم كالسريان والأسبان وغيرهم، يقول عمر: "أمَّا تأثير السُّريان فقد تمثَّلَ في شكل كل محاكاتهم للعرب في القوافي، وأوَّلُ من أدخلها في شعرهم يوحنَّا بن خلدون في القرن الحادي عشر الميلادي".

وفي الأندلس أصبح ضروريًّا على أكثر شعراء الإفرنج عند ملوك الأندلس أن يُلمُّوا ولو إلماما خفيفة بلغة العرب[34].

وكذلك الأمر عند مسلمي روسيا، يقول الجندي[35]: "لا يزال سكَّان داغستان في روسيا يتكلمون باللغة العربية، ويستخدمونها في التَّخاطب والكتابة ونظم الشعر وفقَ الأوزان العربيَّة الأصيلة".

– النحو:

لقد أثَّرت اللغة العربية في لغات وحضارات الشعوب الأخرى، وأَثْرت تراثها، وهذا التأثير لا يقتصر على علم أو فنٍّ دون آخر، وتأثير اللغة العربية في عدَّة علوم وفنون يؤكِّد تأثير النحو العربي في لغات هذه الشعوب ونتاجها العلمي، إلَّا أنَّ بعض المستشرقين يرون أن الدراسات النحوية العربية ليست أصيلة، وأنها ناجمةٌ عن التأثر باليونان والهنود، فمن الطبيعي أن يكون التأثير متبادلاً بين اللغات، وهذا لا يعيب اللغة العربية، فتأثير اللغات الأخرى في اللغة العربية لا يمكن إنكاره، ولكنَّه أقل بكثير من أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى إذا ما قُورن بها، ولذا يقول البوريني[36]: "إنَّ الدرس النحوي يتكوَّنُ من أسلوب الدراسة إضافة إلى المادة المدروسة، أمَّا مادة الدرس وهي العلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة العربية وبين الجمل نفسها والتي تضبط حركات أواخر الكلمات فهي صفة لازمة في اللغة العربية لا نعدم وجود شيءٍ منها في أيِّ لهجةٍ خرجت من العربية، ونقصد بهذه اللهجات اللغات العالمية المعروفة لأنها خرجت من العربية، وأما أسلوب الدراسة وهو طريقة البحث في العلاقات النحوية في الجمل ووضع القواعد الثابتة بشأنها، فقد يتماثل في بعض جوانبه لدى دارسين لموضوعٍ واحدٍ في مكانين مختلفين مع اتفاق الزمان أو اختلافه من دون أن يلتقي أحدهما بالآخر، ولو فرضنا أنَّ العرب قد تأثَّروا باليونان والهنود في أسلوب الدراسة النحوية فليس في هذا ما يعيب أو يقلل من شأن النحويين العرب، فالمعرفة لا يقتصر خيرُها على أمةٍ دون غيرها، فهي مكسب للإنسانيَّة كلِّها، وليس في اقتباس النحويين العرب لأُسلوب الدرس النحوي عند اليونان والهنود ما يشينُ اللغةَ العربية، وقد احتوت اللغة اليونانية كما احتوت اللغة الهندية بعض صفاتها".

ويبدو واضحا أثر النحو العربي في الدراسات النحوية في النحو السرياني والقبطي والعبري، يقول أحمد مختار عمر[37]: "بعد أن اتَّصلَ السريان بالعرب عندما دخل العرب بلادهم فاتحين، وعَدَتِ اللغة العربية على لغتهم أثَّرَ ذلك على السريان، فوضعوا نحوهم على نمط النحو العربي لأنَّهُ أقرب إلى لغتهم من النحو اليوناني، وكان النحاة السريان في القرن

الثاني عشر وما بعده يعكسون مناهج المدارس العربية الشهيرة في البصرة والكوفة، وقد ابن العبري كتاباً كبيراً في النحو سمَّاه كتاب الأشعَّة على غرار كتاب المفصَّل للزمخشري، ويلاحظ أَنَّ ابن العبري في كتابه كان يتبع تقسيمات النحاة العرب".

وكذلك حصل لمعظم اللغات التي احتكت باللغة العربية، ومن الملاحظ أن أشهر نحاة العرب من أصول غير عربية، فسيبويه والزمخشري فارسيا الأصل، وابن جنِّي روميُّ الأصل، وغيرهم الكثير من العلماء الذين تأثروا باللغة العربية وعلومها وفنونها، فصاروا من أشهر علمائها.

– الأهميَّة الجماليَّة للخط العربي:

صار الخط العربي ميدانا للمتنافسين من الخطاطين والكُتَّاب في دواوين الخلفاء والأمراء والولاة والوزراء، واستمر الحال على ما هو عليه إلى وقتنا الرَّاهن، فأُقيمت المعارض والمسابقات بين أشهر كُتَّاب العالم من مختلف الشعوب يتنافسون في ميدان الكتابة بالخطِّ العربيِّ، حتى غدت مخطوطاتهم لوحات تزين جدران السادة والأثرياء، ولم يكن ذلك حدثا، بل كانت كتاباتهم تحفة فنيَّة مزخرفة بديعة منذ زمن بعيد في فن الكتابة[38].

فهذه العوامل التي ساهمت في انتشار ورسوخ اللغة العربية عند المسلمين وهذه الآثار التي أمدت بها اللغة العربية لغات هذه الشعوب ساهمت بشكل كبير في تشكيل أسرة اللغات الإسلاميَّة[39] في آسيا وأفريقيا حين غلبت العربيَّة على الجماعات الناطقة بالفارسية واللاتينيَّة واليونانيَّة والقبطيَّة والآرامية.

خلاصة البحث:

لقد كان للقرآن الكريم عظيم الفضل على العرب ولغتهم، فاكتسبت لغتهم من القداسة والتشريف ما جعلها ميداناً لكل باحثٍ، ومراما لكلِّ لاهثٍ، فقد ساعدت مجموعة من العوامل كان أبرزها العامل الديني على رسوخ اللغة العربية وانتشارها بين الشعوب الإسلامية وعند من احتك بها من غير المسلمين، وقد تجلى تأثير اللغة العربية على لغات المسلمين من غير النَّاطقين بها في معظم علومها وفنونها من النحو والمعاجم والأدب في شكله ومضمونه والاصطلاح والحرف والخطِّ وغيرها الكثير ممَّا كان يروي ظمأ ويلبي حاجة هذه الشعوب في هذا الميدان.

هوامش:

1– الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص 303.

2– السَّابق، ص 47.

3– السابق، ص 67.

4– الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 2002، ص 15.

5– الجندي، ص 66–67.

6– البوريني، عبد الرحمن أحمد، اللغة العربيَّة أصل اللغات كلِّها، دار الحسن للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص62–63.

7– البوريني، ص 63.

8– خرما، نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، مجلة عالم المعرفة، العدد التاسع، 1978، ص 172.

9– البوريني، ص63.

10– السابق، ص174.

11– الزمخشري، جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993، ص 17.

12– الجندي، ص49.

13– خرما، ص 175.

14– الجندي، ص 50.

15– عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988، ص 358.

16– الجندي، ص 66.

17– الجندي، ص 67.

18– عمر، ص 364.

19- الجندي، ص 68.

20– الجندي، ص 48.

21– الجندي، ص 48.

22– الجندي ص 68.

23– الجندي، ص 69.

24– خليفة، عبد الباقي، مقالة بعنوان: آلاف الكلمات العربية في لغات شرق أوروبا، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9483، 14– نوفمبر 2004.

25– عمر، ص 359.

26– عمر، ص 363.

27– عمر، ص 360.

28– عمر، ص 360.

29– عمر، ص 363– 364.

30– خليفة، عبد الباقي، مقالة بعنوان: آلاف الكلمات العربية في لغات شرق أوروبا، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9483، 14– نوفمبر 2004.

31– المصدر السابق.

32– عمر، ص 364 – 265.

33– الجندي، ص 76.

34– الجندي، ص 70.

35– الجندي، ص 71.

36– البوريني، ص 61 –62.

37– عمر، ص 357.

38– القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1922، 104/3.

39– الجندي، ص 68.